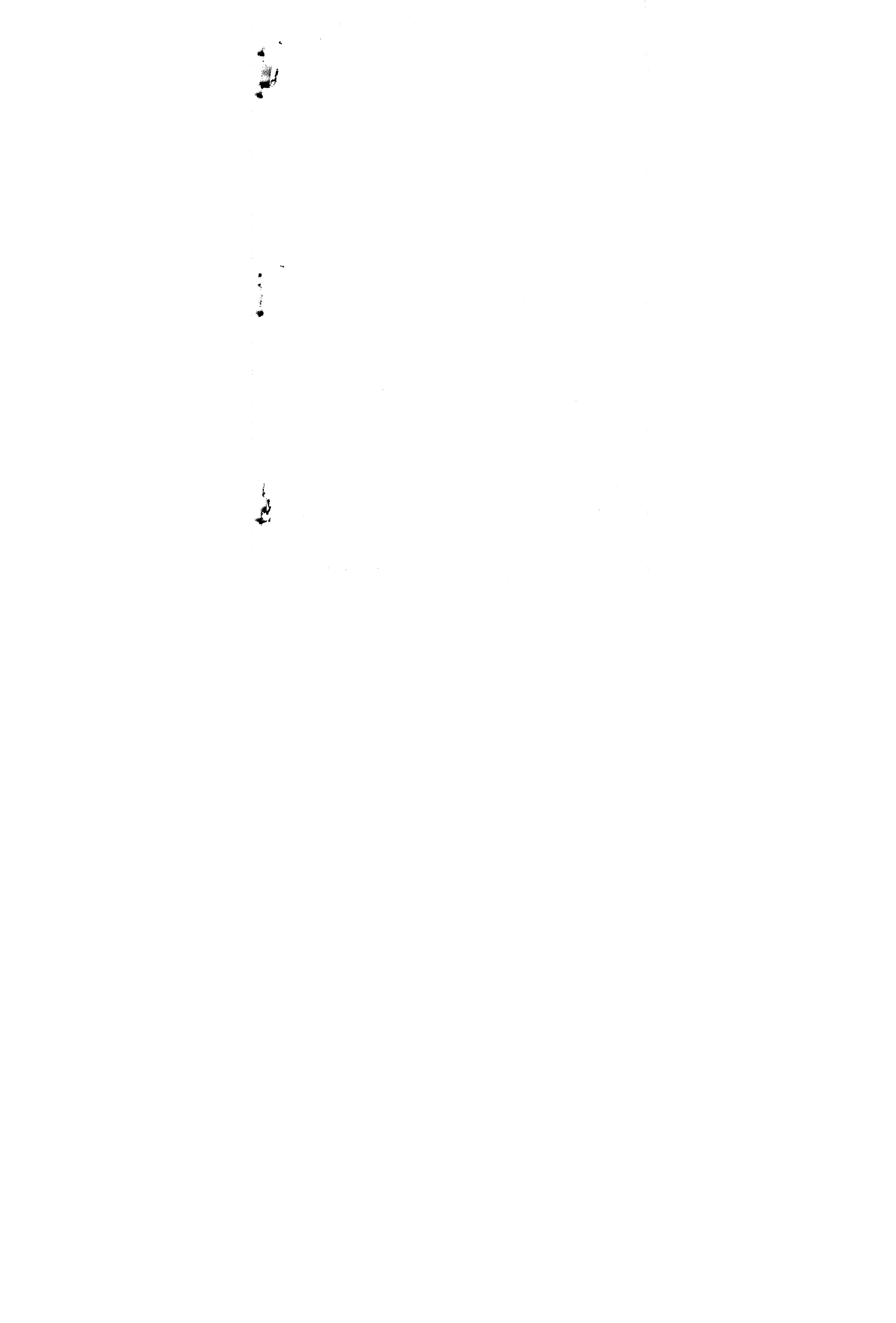
هكذا غنى النورس



هكذا غنى النورس

د. سامح درويش

من رحلة فى عوالم الشعر

خلال خمسة دواوين

عبر أكثر من ربع قرن

ارتحل فيها النورس

.. أو هكذا غنى ..

بدايـــة

لحظةً .. ثم نُصْغى لصـوت يهلُ ..
.. وينسـاب فى همـسات الأصـيلْ

هذه الأغنيـــاتُ التى جَمَعَتْنَا ..
.. وكـــانت لنا فى الطريق دليلْ

يُقْبِلُ اللحن .. والذكريات الحزينة
.. تنمـــو عليـــه كَنَبْتٍ ظليـلْ

والنفوس الحيارى تذوب احتراقاً ..

.. وأرواحنا فى صـــداه تسـيـلْ

لحظةً .. ثم يبدأ بعد احتراق

.. النفوسِ رحيلٌ إلى المستحيلْ

..★..★..★..

رحلتى ابتـدأت من هنا .. وأنا

عاشقٌ زادُه الحب عند الرحيلْ

من هنا ، حين قالوا بأن الهوى

غايةٌ ليس لى نحوها من سبيلْ

من هنا ـ ياحبيبة ـ كان التحدى

.. وكان العناد الذى لا يميلْ

رحلتى ابتدأت من خلال عيونك ..
.. والدرب عـمـرٌ طويلٌ .. طويلْ

..★..★..★..

عشقك البدءُ - أعرفُ - ما قبله
كان لا شيء ، والبعدُ سرٌ جميل

يختفى خلف أفقٍ من الأمنيات ..
.. ويبعث منها الضياء النبيل

عشقك البدُء .. ما أروع البدَء ..
.. حين يكون اختياراً بغير بديل

رحلـــة

بين ضلوعى مـــخـــاوف ، وعلى
فـــمى نشـــيـــد مـــحطَّم النغم
حـبـيـبـتى ، مـا الذى سـأكـتـبـه
عن خطوة أســـرعت بلا قـــدم
تجـرى وراء المنى ، فـتـوقـفـهـا
أشـــيـــاء لم يدر ســـرها قلمى
لا تسـألينى ، فلست أعـرفـهـا
وســـرها فى غـــيـــاهب العـــدم

..★..★..★..

بعـــــيـــدة لم تزل مـــدائننا
وخطوتى فى الطريق تنتـــحـــر
أمضى .. فقولى متى سأبلغها
قـد طال دربى ، وأسرع العمر
ضعتُ غريباً وفى مدائننا
تساقط الزهر ، واختفى القمر
هل من لقاء على مشارفها
يوماً؟ فقد ملّ خطوتى السفر

..★..★..★..

هناك ميعادنا ولم أزل
أمضى وحولى عواصف الملل
أسير وحدى مغامراً ، وأنا
أرى بعينيك باقتى أمل

نقـــاء عـــينيك فى مـــغـــامـــرتى
زاد ، ونور أضـــــاء لى ســـــبـلى
همـــا الأمـــان الذى يلوح على
درب ، بنار الظنون مـــشـــتـــعـل

..★..★..★..

مـــازلتَ تقـــســـو علىَّ يازمناً
عـــاندته دائمـــاً ، وعـــاندنى
وها أنا فى الطريق مـــرتحل
بالرغم مما يكيـــــد لى زمنى
أمـــضى ، لألقـــاك فى مـــدائننا
لـــنـــزرع الحـــب فـــى رُبـــى المـــدن
ومن بعـــيـــد أرى مـــداخلهـــا
تلوح لى فى المدى ، وتجـــذبنى

أغنية العاشق العائد

أعود - يا حبيبتى - فى السَحَرْ
إليكِ ، أهدى فى يديكِ القَمَرْ
أعود بعد رحلةٍ من حنينْ
مرهقة خطاى بعد السفرْ
تمر كالنسيم فوق الجبينْ
يداك ، تكتبان أحلى قدرْ
تُهَدْهِدانى ، وفؤادى الحزينْ
ينسى الأسى بينهما ، والضجر

وْالحب يَهْمِى فــوق قلبى .. مَطَرْ
ليـــرتوى بـعـــد الظَمَا المُسْتَعِرْ

★..★..★

ينام فى عــينيكِ وجــهى النحــيلْ
ويســـتــريح من عناء الرحـــيلْ
تنفض أهدابُك عنه الـغـــبـــارْ
مـــرسلةً عليـــه ظلاً ظليـلْ
عـيناكِ واحــتــان عــبــر القــفــارْ
الرىّ فــيــهـمـا ، وسـحـر النخـيلْ
قــد فــاضـتــا بروعــةٍ ، وازدهارْ
سِحْرُهُمَا يريح وجـــهى الكليلْ
فــيــرتمى مـســتلقــيــاً فى ذهول
يلفـــه دفء البـــريق النبـــيل

★..★..★

أناملي في شـــعـــركِ المنســـدلْ
كـــأنجمٍ تراقـــصتْ في ثَمَلْ
تضـيء باللهـفـة ليـلاً جـمـيلْ
وتسـكب الحنان بين الخــــصلْ
وألْثمُ الخدَّ البـــديعَ الأســـيلْ
فـتــشـــرق الدنيـا بنور القبـلْ
وأمْلكُ الممكنَ ، . . والمسـتـحـيلْ
اذا احـــتـــويت قلبيَ المرتحلْ
ليـــســـتـــريحَ من دروب المللْ
في صـــدركِ الدافيءِ دفءَ الأملْ

المقبلة فى هالات الحب

وعـــدٌ بإقـــبـــال الحـــيـــاة المُبْهِجَه
ينثـــالُ من خـــصـــلاتك المتـــأرجـــه

أقـــبلتِ .. ، والريح المُرَاقـــة فى دمى
ترتجُّ ، والرغـــبـــاتُ فىَّ مـــؤجـــجـــه

والانـتـظـارُ يمـور بـين جـــــــوانـحـى
قَلِقاً ، وتسـحـقنى الثـوانى المحـرجـه

ياما انطلقتُ إلى الفراغِ ، وأمْسَكَتْ
كـفِّي الســرابَ بقـبـضـةٍ مـتـشنجـه

ورحلتُ في طُرُقٍ تَمــيــدُ ، تهــزُّني
أصـــــداءُ أوهامٍ تُدَوِّي .. مُزعِجـــــه

ومضيت ، تصُرخ حيرتي في أعظمي
وبأعـيـني صـور الســقـوط مُضَرَّجــه

مـــتـــعلقـــاً بالأمنيـــات ، مُكَابراً
كي لا تَسَاقَطَ خطوتي المتـــهـدجــه

مـازلتُ أعتـصـرُ الخيـال ، وأمتطي
للـصـــــبح مُهْراً كم أبى أنْ أُسْرِجَه

مــازلت فى سُبُلِ الحــيــاةِ مــحــاولاً
إخــضــاعــهــا لرغــائبى المتــأجــجــه

حــاولتُ أمــتلك المجــرَّة فى يدى
وأصــوغ من خــيط الضــيــاء الأنســجــه

وأكـشّف الحجبَ الكثــيـفـةَ إن طغت
وبدت لعــينىّ الســمــاءُ مــدجــجــه

وأغــوص فى الأشــيــاء ألمس كُنْهَهَا
لأرى الحــقــيــقــةَ ـ كلهــا ـ مــتــبلجــه

حــاولت أغــرز فى الســحــاب أناملى
وأســيــر فــوق اللجــة المتــهــيــجــه

وأقبّل الشمس الخجول بخدرها
وأنام بين عيونها المتوهجه

مازلتُ في عصفِ الحياةِ ، مُعَانداً
أختارُ درب الصعب كيما أنْهَجَه

كي أبلغَ الأرضَ التي قد زِنْتِها
وأطيرَ نحوكِ لو سكنتِ الأبرجه

وأعلقَ النجمَ البهيجَ قلادةً
تزهو على خصلاتك المتموجه

..★..★..★..

إني انتظرتُكِ في اشتياقٍ ظامىءٍ
وضممتُ حلمي والضلوعُ مُؤَجَّجه

وتأرْجَحَتْ بين الوجــوه عـــيــونيَ
الحيرى تفتش عن مـلامح مـبـهـجـه

فـرأيتُ في وسط الزحـام جـبـينَكِ
المتـــلألىءَ المُلقى علىَّ تـوهـجـــه

ألَقاً يــذيـــب تـــرددى إمّا ازدهـــى
ويبثُ إشـــــراقَ المُنَى أنَّى اتجــــه

..★..★..★..

أقـبلتِ من زمن النقــاء مـلامــحــاً
بالســحــر والألق النـبـيل مُتَوَّجـه

وعلى شـفـاهكِ من تسابيح الهوى
نغم تراقص فى الفـؤاد وأبـهـجــه

وصـــدى غـــدى المرجـــوَّ فى نبـــراته

يجـتـاح أصـداءَ الأسى المتـحـشـرجـه

وبوجهكِ السامى المنى ابتَسَمَتْ ، وفى

عـيـنيكِ دنيـا ـ تُشْتَهَى ـ مـتبـرجـه

أقـــبلت من زمن الـضـــيـــاء أشـــعـــة

كَشَفَتْ غـيـاهبَ سِكَّتى المتـعـرجـه

وأنا مـــلاً نَقَشَتْ بـصـــدرى صـــورةً

لهـــوى هفـــا قلبى له وتَحَوَّجـــه

أقـــبلتِ من زمن الخـــصـــوبـةِ نَفْحَةً

وزرعت فى عمرى الجديبِ بنفسجه

..★..★..★..

صــدرى تحــرَّقَ منذ كنتُ إلى الهــوى
وصــفــاء عَيْنِك ـ ياحــبــيــبــةُ ـ أثلجــه

هيــا إلىَّ فــحــســب عــمــرى أنَّ لى
ـ فى عــتــمــة الأيام ـ حــبك مِسْرَجــه

أغنية لحب جديد

فى يديك الدفء .. والرغـــدُ
وأنا .. مـــازلت أرتعـــدُ

حـــائراً .. حـــتى مـــتى ، وأنا
لانفـــعـــالات الهـــوى أئد ؟!

لمتى .. والريح تحـــملنى
كـيـفـمـا شـاءت فـأبتـعـد ؟!

هـل أتـيـت الآن أمـنـيـــــــــــة

لىَ فى أفـــيــــائـهـــا بـلد ؟!

تحــتــوينى بعـــدمـــا انـتـــشـــرت

خطواتى ، واخــــتـــفى الأمـــــد

فى فـــراغ كـــان يـســحـــبـنى

وأنـا فى قــــــفـــــــره بَدَدُ

قـــد أتيتِ الصـــفـــو ، والنغم

العـــذب ، والفـــجـــر الذى يَقدُ

ووعـــوداً فـــوق أجـنحـــــة

من خـــيــــال ، بالمنى ترد

وابتسامات تبشرنى

بحياة كلها رغد

وحديثاً من منابعه

سلسل الأحلام يطّرد

حبك الوعد الذى انتظرتْ

ضوأه عيناى ، والورُدُ

حبك الإشراق ، والزمن

الحلو ، والورْد الذى أرد

قد محوتِ الصمت من عُمُرى

وجعلتِ الليل يبتعد

بتـــرانيم على شـــفـــة
بجـــلال الحـــسن تتَّقدُ

واخـــتـــلاجـــات تمور بهـــا
الروح ، والأنفـــاس ، والجـــسد

آه يـا إبـداع أغـنـيـــة
قـــد شـــداها شـــعـــرك الغَرِد

من ثنايا خـــصـلة ثَملتْ
بأعـــاجـــيب الهـــوى تعـــد

عندمـــا رفَّت ـ تراقـــصـــهـــا ـ
نـســـمـــة من جنة تفـــد

بالأمـــانيّ العــذاب ســـرت
وبهــا الأفــراح تحـتــشـد

كل مــــا فـــيك ازدهى ، وأرى
حــسنك القــدسيً ينفــرد

ولقـــانا فـــرحـــة ، وبـهـــا
من هجــيــر البــعـد نبـتـرد

أقـــبلى يا منتــــهى أملى
بك يحلو حـــاضــر ، وغــد

شجر الحزن

شجر الحزن نما .. حين همى
مطر الصبوة فى مسرى الدما

كلما قلتِ .. وأصغيتُ .. وما
يملأ الدنيا سوى صوت سما

باعثاً نبض الهوى المستسلما
فى فؤاد فوق كفيك ارتمى

ربما يقبس من دفئك ما
ينشر الخصب ويحيى الموسما

.. ★ .. ★ .. ★ ..

ربما يلقى لديك الحُلُما
ربما يطفىء نيران الظما

تشرق البسمة من أحلى لمى
والسنى رف عليها ، وانتمى

وأنا يا نور عينى عاشق ،
بك - من أنوار عينيك - احتمى

فى فؤادى صبوة لما تزل
فى احتدام ، وهوى لن يُكْتما

منذ أن جــئتِ لدنيــاى ، وفــى
ركبك الســحر مشى منسـجمـا

قــابســاً منك جمــالاً ملهــمــا
ناثــراً تحــت خطــاك الأنجــمــا

جــاذبــاً نحــوك قلــبــاً مــفعــمــا
بانفــعــالات تذيــب الأعظــمــا

منذ أن جــئتِ .. وأيامى كـــمــا
شاءها العشق .. حــريقاً مضــرما

.. ★ .. ★ .. ★ ..

فى شــرايينى لهــيـــب ، بينمــا
ســحب العــشق تراءت فى الســمــا

حـجـبت أفـقىَ عـنى ، وهـمى
مطـــر أظـمـا الخـلايا والدَمـا

ينبت العـشـق فـيـنـمـو شـجـراً
شـجـر العـشق ، أم الحـزنِ نما ؟

إنــه الحـزن الــذى يغـمـــرنى
حـينمـا أعـجـز عـن أن أفـهـمـا

مـا الــذى خـبــأته فـيك ، أمـا
آن أن أكـشـف سـراً مـبـهـمـا ؟!

مسـافات للعشـق

رحلة العشق بأيامى تطولْ

والمسافات ترامت

فتنامت

فى مدى الخطوة ، أشواق الوصولْ

كلما أوشكت أن أدنوَ من بابك

أقصانىَ ما لم أستطع

إدْراك كنههْ

فاجذبينى

من طريق ساخت الأقدام فيها

اجذبينى

نحو أيامك

كى أُلقى على صدرك

قلباً منهكاً بالعشق

أضناه الرحيلْ

وخذينى ذائباً فيك

وموصولاً بعينيك

ومشدوداً لحسن

قد تجلى فى مُحياك النبيل

فأنا .. أنت

وهذ العشق

ومض من سنى الجمع

وإشراق الشمولْ

بيننا .. لا صمتَ

ساعاتٍ نقضّيها

وعينانا تقولْ

كل ما ليس يقالْ

تقرأين السر فى ذهنى

وأنبيك بما سوف تقولين

فماذا من دنى الكشف اعترانا ؟!

ما الذى يربطنا ؟!

شيء جهلناه ..

وأحسسناه

لم يشعرْ به ـ قبل ـ سوانا
قد تحدينا به عالمنا
ـ منذ التقينا ـ
.. والزمانا
ثم عشناه
ولا ندرى
أكنا نسرق الوقت ؟!
أم الوقت هو السارق عمرينا
وملقينا لغابات الذهولْ ؟!

مارج العشق يزكينى
فأسمو لسديم لا نهائىّ
وأُمْسى نجمة بازغة
ليس لها ـ قط ـ أفول

تستمد الضوء من عينيك

من عشقك

من نار لها بين خلايانا . . صليل

صهرتنى طرق النار إليك

وأنا لما أزل أمشى عليها

راحلاً نحوك

والخطوة تجتاز سراديب تلوَّتْ

ودروباً تستطيلْ

غايتى عيناك

والعشق الذى تنداح فى دنياه

أسرار الحلولْ

صهرتنى طرق النار إلى عينيك

حتى طهَّرتنى

فاقتربتُ

والمسافات تلاشت

وعلى بابك - يا مولاتي السمراء -

يستأذن عمري بالدخول

تتلاشى بيننا كل المسافات

ولا باب

فإنا قد تمازجنا ..

وصرنا واحداً

حين حللنا بعضنا

وفصام العشق ، عين المستحيلْ

هـل هـذا انشـطار ؟!

لغة تطفُر

من شعرى الذى يزهو بعينيك

ومنها لغة النور تغارُ

كلما باسمكِ غنيتُ

يذوب الليل وجداً

ويحارُ

ما الذى فيك ؟!

وماذا تحتوى عيناكِ ؟!

يادنيا بها نور .. ونارُ

وبريق ليس يخبو أبداً

شعَّ ..

فبالصبح انبهارُ

كل ما فيك ضياء ..

هلَّ

فارتجَّت خلاياى

ودب الحب فى قلبى

وأضناه انتظارُ

جئتِ ..

هل أقترب الآن ؟!

وهل لى فى مدى جنتك الخضراء

نهر .. وديار ؟

هذه أنت ..

وهذا حبك الواعد

خصب .. وازدهارُ

هذه أنت ..

وفى كفيكِ

زهر .. وثمارُ

هذه أنت على عرشك

شمس ..

وحواليكِ مدارُ

همتُ فيه

مثلما هامت نجوم

قَبَسَتْ منكِ ضياها

هذه أنت

وهذا الحب جنات بعينيك

ولكن

هاهنا

ما بيننا الخوف جدارُ

وأنا .. ما بين نارين .. ونورين

وما بين طريقين

انشطرت اثنين

نصف هارب منك

ونصف ذائب فيك

فهل هذا انشطارُ ؟!

هل أنا فى حبك اثنان

أم انى واحدٌ

لم يدر إلا أنه يهوى السنى المشرق

من عينيك

مهما اشتد فى النفس صراع

وأوارُ

بعـــدكِ ..

إذهـــبى فـالحـيـــاة طـــوع يمينـــى
لا أبالى إن كـنـتِ .. أو لـم تـكـونـى

كل ما فى الحياة ـ بعـــد ـ سيبقـــى
مثلمـــا كـان قبـــل أن تهـجريـــنى

لن يضـير الـفـراق قلبـى ، فـمـا كنت
ســـوى لحظـة بعـمـــر مـجـونـــى

لا تظـنى بأننـى سـوف أحـــيا
فى فـراغ إن أنـت لـم تعـشـقيـنى

لن أحـسَّ الفـراغ بعـدك إنـــى
شــاعـر .. والوجــود ملك يمينى

والجـمــال البــديع رسـم خـيــالى
وائتـــلاق الآفــاق من تـلويـنى

..★..★..★..

كنتِ قـبلـى حكاية لـم تقلـــها
لغـة الحـب ، أو حـروف الفـتـون

فـتـغنيــتُ فــى هــواك بلحـــن
قــد سـرى للنجــوم عــذب الرنين

فـإذا أنــت قبــلة للعــيون
بعــدمــا كنت فى زوايا السكون

عـدمـاً كنت ، ثم صـرت وجـوداً
مـشـرقـاً قـد بعـثـتـه بلحـونـى

وجـمـالاً صنعتـه مــن قـصيـدى
فــرأته كـل الدنـى بعــيـونى

قـد خلقت الغـرور فـيك ، جـعلت
الذل كـبـراً ، فى قلبك المستكين

فإذا أنت تستبيحين عـمـرى ! !
وتــريـديـن أن أذل جـبـينـى ؟ !

تطعنين الهوى بخنجر كـــذب
ثـــم تبكـين للغـرام الطـعين

..★..★..★..

إنتـهى يوم شئت أن تخـدعيـــنى
كـل مـا بينـنا ـ فـلا تذكـرينى

انتـهى حـبك الذى كـان من صنـع
خـيـالى ، ومن صـمـيم جنونى

إنتـــهى كى يـهل حـب جـديد
فى حـيـاتى ، يذيب كل شـجـونى

يمـــلأ العـمر بهـجـة ، ينسيـنـى
حـــبك الماضى ، واندلاع ظنونى

سـوف تأتـي إلـيَّ ـ بعـدك ـ قلـبـاً
يرتمـــي بـــين أضلعـــي في حنين

يهب الحب في سـخـاء ، بـلا حـد
ومـن خـمـر رغـبـتي يسـقـيني

سـوف تأتي ، كـمـا أتيتِ ، وفـي
أعـينها .. لهـفـة الهـوى المجنون

أي أنـــثى تأبـى الخلــود ببـيت
مـن قـصـيـد لشـاعـر مـفـتـون ؟!

يرسل اللحن في هواها ، فـيـشـدو
باسـمـهـا الخلد في مـدار السنين

..★..★..★..

هكذا يوم شــــئت أن تكذبينى

شـــاء قلبى أن ترخـــصى وتهـــونى

فاذهبى للنسيان فى زحمة الأيام

.. مـجـهـولة الملامـــح .. دونـــى

يمامة النرجس

هى ليست تحب سوى نفسها

والغرور الذى زرعته المرايا

بأعماقها

حين باحت لها

بالجمال الذى يتجلى بنظرتها

وبسحر العيون ..

وسر فتور الجفون

أثار الجنون المراوغ فى حسها

فمضت -

وهى تعلم أن القلوب تميل إليها

وأن المسامع تهفو إلى جرسها

لا تحب سوى نفسها

هى دنيا من الفتنة المشتهاة

تتوق النفوس إلى أنسها

بابها ..

أن ترى فى عيونك

ضوء انشغال بها ..

وانبهار

ومفتاحها

أن تغنى لها

مطرياً حسنها .. ومفاتنها

ولذا ..

فإذا ما شدوت لها

بقصائد عشق

وبالغزل المتأنق فى ذاتها

تفتح الباب لكْ

تسلم الروح لكْ

وتهيم ..

ويحلو لها حين تلقاك

أن تسألكْ

ما الذى أثملكْ

ما الذى أشعل النار

فى فنك المتوقد

كيما تجيب :

بأن محاسنها

أدخلتك إلى قدسها

هى نرجسة

نبتت فى حدائق مفعمة بالرؤى

فإذا شئت أن تعشقها

سوف تعطيك ما تشتهيه

من الرؤية الملهمه

ولسوف تجوب بك الكون

حتى تلامس .. فى لحظة

أنجمه

وستعشقها للثمالة

لكنها فى النهاية

ليست تحب سوى نفسها

الطريق إليك

بصدرك أعياد الحصاد تموجُ
وعهد ربيعيّ الحياة بهيج

بصدرك وعد بالخلود ، وكعبة
تعالت ، حواليها يطوف حجيج

فهلا احتويت العمر فيه ، وكنت لى
مدائن ، فيها لا يضج نشيج

مدائن لم تهجر سماها شموسها
فلم تتساقط فى الربوع ثلوج

★★★

رحلت - مساء - نحو وجهك مثقلاً
بهمّى ، ولى سحر المساء نسيج

يلف فؤادى فى العراء بدفئه
ويحميه من قرّ عليه يهيج

رحلتُ - وفى صدرى أمانٍ ورهبةٌ
إليكِ ، وخطوى فى الطريق لجوج

ولست أبالى فورة الشك فى دمى
ولا قلقى إن ثار فيه ضجيج

ففى الأفْق تدعونى ، وتجذب خطوتى
مـــآذن تعلو للســـــهــــا ، وبروج

وألمح عن بعــد خليــجــاً ، وربوة
تـعـــــــانقَ نور عـنـدها ، وأريـج

وأنت على الشط الخصيب جـميلة
يقـــبل خـــديهـــا سنى ، وخليج

تزين فـوديهـا زهور ، وخــضــرة ،
وفى وجهها الحالى ، تضيىء مروج

★★★

يقــولون بين العــاشــقين مــفــازة
وبابك منه يســـتـــحـــيل ولوج

فبابك مرصود بسحر ، ومارد
على الباب يُلقى بالردى ، وأجيج

يدمدم كى لا أستطيع اقتحامه
وسورك لا تعلو إليه دروج

يقولون ! .. لكنى أسير محطّما
أراجيف راحت فى الطريق تروج

★★★

خرجت لآمال بصدرك ثرّة
تنير طريقى منذ كان خروج

فهل أترك الآمال فيك وأمتطى
جواد ضياع للوراء يعوج ؟!

مسـبيخ

يخادعنى قولك المغرضُ

فأسمع منك .. ولا أعرضُ

فكيف اتبعتكَ ؟

كيف قبلتُ الذى أرفض

وكيف مشيت كما قد مشى

سواى .. بموكبك الزائفِ

خطاى .. خطى خائفِ

وعيناى زائغتان بليلك

ترتقبان سنى يومضُ

وحين يلوح لعينىَ ضوء الحقيقة

عند المدى . .

. . أغمض

لماذا اتبعتك ؟

كيف اتبعتك ؟

كيف رميت التواريخ ؟

كيف نزعت جذورى التى تبتدى

عندها

بداية كل البدايات

واستسلمت

إرادة من لا يلين لما تفرض

وكيف خُدعت ؟

فعاهدتُ من ينقضُ

أجل ..

ذا زمانك

تأتي به .. وتسود .. وتستعرض

وتملؤه بالأراجيف

ـ هذا زمان الأراجيف ـ

يغفو به الصدق .. لا ينهض

أجل

ذا زمان التوجس

هذا زمان الخداع

لكل امرىء فيه وجهان

وجه تقنع بالبسمات

ووجه تذمر تحت القناع

هو الزمن السوق نحن به نشترى ونباع

وفيه المبادىء

- يا مبدئى -

سلعة تعرض

..★..★..★..

أغنى ..

لعلىَ أستنهض

لعلىَ أكشف ما يختفى

لعلى أفرق بين الذى يُسْتحَب

وذاك الذى يُبْغَض

لعلى أفيق

فأخرج من موكب التائهين

وأفتح عينيَ

أشبعها بضياء الحقيقة

كي ما أشع

فأوقظ من يغمض

فإن كنتُ صدقتُ قولك يوماً

فبي حاسة تنبض

لها قدرة الكشف حين تفيق ،

وحين تثير لظى ثورة تربض

وإن كان هذا الزمان زمانك

ها هو ذا هارب يركض

وتبقى التواريخ ..

والأزمن الآتيات لنا ..

تومض

موســـيقى

توشك الليلة أن تمضى .. ولا تمضى الثوانى

ما الذى قد أوقف الوقت ..

وماذا بدل الأزمان من حولى ..

.. وأبعاد المكان

إنه (موزار)

هذا الساحر المبهر ..

كيف اسطاع أن يمزج أزماناً بأزمان

وأن ينقل فى لحظة صفو من مكان لزمان

يقبل اللحن رفيفاً .. وشفيفاً

ذلك القادم ينسل بأعماقى ..

ويسرى فى دمى .. يحملنى فوق العنان

ويعيد الأمس لى - إن شئتُ -

أو يعبر بى ، عبر مسافات

إلى كل الجهاتْ

وهو السحر الذى يرجع لى الماضى الذى مر .. وفاتْ

والذى يحملنى للمدن الأبعد عن قدرة خطوى

والتى قد عشت فيها ذكريات

★★★

تلك موسيقى .. أم السحر النبيل؟

ما الذى فيه من الإعجاز ..

والقدرة أن تفعل فينا المستحيل ؟

ما الذى يجعلنى إن هل لحن (السيد درويش)

أخطو عند كورنيش عروس البحر ..

بنت اسكندر الأكبر

معشوقتنا .. الاسكندريه ؟

ما الذى يرجع لى فى صوت « إيدير »[1]

إيدير : مغن جزائرى قبائلى يغنى باللغة البربرية

حكاياتى على سفح الجبال البربرية ؟

ولماذا كلما صافح سمعى صوت (ميراى)[١] أرانى

صاعداً فوق دروج (المونمارتر)[٢]

وإذا ما شدت فيروز أشعر

بشذى لبنان كالضوء المعطر

★★★

لا يعود الأمس إلا عبر لحن

حينما أغمض عينى

ويمر اللحن منساباً لأعصابىَ

١) ميراى ماتيو المغنية الفرنسية الشهيرة.
٢) المونمارتر : حى المونمارتر بباريس.

يُستدْعى إلىَ الزمن الماضى

وتستدعى بلادُ

بجناح اللحن تطوى الأرض

يأتى عرش بلقيس

وتأتى شهر زادُ

لا يعاد الأمس إلا عبر لحن يستعاد

أغنيـة للحقيـقة

تكاد تخـتنق الأنفـاس فى رئتى
شـوقـاً للحظة كـشف يا مـحـيّرتى

من يسقط الستر كى يبدى لأعيننا
مـا قـد تخـفَّى طويلاً خلف أقنعـة

هذى يدى ، كلما امتدت لتنزعها
شُلَّت ، وذابت مع الأنات أسـئلتى

لكِ ارتحلتُ ، وقلبى صـــار أجنحـــة
ليـست تقـر ، وأضـلاعى ، وأوردتى

لك ارتحلت ، ومذ كان الرحيل ، أنا
لم أنتــقل من مكانى قـــيـــد أنملة

تدور بى الأرض ، لا أدرى لأى مـــدى
تمتـد نظرتىَ العـشـواء ، أو جـــهــة

مازلت فى موضعى ، فالشك قيدنى
وبث فى مـسمعى ، أصداء همهمة

تخـــوّف النفس من ريح مـــدمـــرة
وتبــعث اليــأس فى رفّات أجنحـــتى

★★★

ألقيت في الدرب أشعاري ، وفلسفتي

وجئت أسأل شيئاً فوق مقدرتي

أن أرشد الليل عن عشاق أنجمه

وأخبر البحر عن أنّات لؤلؤة

أن أشعل الضوء للسارين في عمهٍ

على طريق ، بقلب الزيف ، موغلةِ

وأن أفتش عن أشياء تائهة

لكي أعيد أساميها إلى لغتي

وأن أبدد أوهاماً مكثفة

لكي أدل على عينيك أزمنتي

..★..★..★..

بعــيــدة أنت عن عــينىَّ فى زمن
مـن الـضـــــلال ، ومـن أيد مـلوثـة

الظلم من جنيـهـا ، والعـدل مـختنق
بـهــا ، ونورك تـخـــفـــيــه بتــرّهـة

بعـيـدة أنت عن عـينى ، وأقـرب من
حـــبل الوريد ، إلى ذاتى المحـــيّرة

أراك فى لحـظة الإيمان عـن كـــشب
نوراً يـضـيىء حنايا النفس بالثـقـة

ولحظة الشك ، تغشى النفس عتمته
فـتـخـتـفين ، بأسـداف مكثـفـة

..★..★..★..

أكـــاد أدرك ســـراً كـــان مـــســـتـــتـــراً

في داخل النفس لم تكشـفـه تجـربتي

غـابت عن الأعين الحـيـرى مـلامحـه

لمـا رنـون لآفـــــــاق ممـوهـة

تكشـفت حـجب من فـوقـها حـجب

في لحظة من صـفـاء النفس مشـرقـة

عـرفت نورك ياعـشـقي وملهـمـتي

وغـايتي ودليلي نحـو مـعـرفـتي

أنتِ السـبـيل ، وأنتِ النور يرشـدنا

على الطريق لغـايات مـقـدسـة

بقلبىَ النور ، نور الحق يغـــمـــر نى
وينبت اللحن رفّافـــاً على شـــفـــتى

وفى يمينى كـــتـــاب عنك مـــعـــجـــزة
فـيـه الضـيـاء ، وفـيـه حل مـعـضـلـتى

يا نور عـــيـنيك لما لاح مـــؤتـلقـــا
كـــانت إليـــه تـــســـابيـــحى وأغـنيـــتى

النخلــة .. والظــل

لى .. وللنخلة ظلان

إذا امتدا

استمدا من وهيج الشمس

بعداً سرمدياً

ولأنى أعشق النخلة

والنخلة لا تعشق

إلا من تسامى مثلها

صلباً .. أبيا

أتحدى الريح

لا الظهر انحنى يوماً

ولا الهامة ترضى دون هامات الثريا

أعشق النخلة

والنخلة تعطيني المدى

تمراً جنيا

وإذانا ـ لحظة العشق ـ

التقينا . .

ثم ذبنا

ثم أضحى لى . . وللنخلة

ظلٌ واحد . .

يمتد حيا

لغـــــة

يقول ليَ الطيرُ :

مازلتَ تجهل تلك اللغهْ

يقول :

قدَ اجهدتَ نفسك فى السعى

نحو مدى

فوق طاقة قدرتك المُسْتَفَزَّة

.. لن تبلغه

خطاك تضيق ..

وإدراك عقلك دائرة

بَعدها لا تَرى

وانطلاقك ..

مرتهن بحدودْ

يقول لى الطير :

إنى سليل الرياح

وأنتَ .. ؟!

أمازلت رهن التراب ؟!

أسيراً لديه ..

ومنه .. إليه ..

ويملؤك الزهو .. والكبر .. والجهل

قلتُ :

أنا سره فى الوجودْ

أنا .. ظله .. وصداه

وإن كنت لا أفهم ـ الآن ـ

تلك اللغه

الصـوت الواعـد

صـوتكَ الـذى وعـدا

بالأمـان .. وابتعـدا

كـان - أمس - يؤنسنى

كـان - أمس - لى مددا

فى الطـريق نحو غـدٍ

لا يجيئنـى .. أبـدا

كيـف ضـاع مختفـياً

- فى السكون - مرتعدا

كيــف ذاب فــى أذنــى

وانتهــى بغــير صـــدى

لا تسل ، فمـنذ مـضى

صـــوتك الـذى وعدا

سـرت فــى قـفار زمان

الضـــلال منفـــردا

حولـىَ الرؤى انتحـرت

حولـــىَ الأسى احتشــدا

واللحـــون ذابلــــة

واللســان قـد جمـدا

والوجـــود منعـــدم

والمدى بغـــير مـدى

آه منـــــك أزمـــــنةً

كثّفـــت بنـــا العقـدا

أشعــــلت مخـــــاوفنا

واللهـــيب ما خمـــدا

والعيـــون تلـــمح فـــى

نظــــرة الحيـــاة ردى

كيــــف ياحبيـــب إذن

نلتقــــى هـناك غـــدا

فـــى ربى بـــها وعــــدا

صوتك الذى ابتــعدا

الســـؤال

المرايا تحاوره

والحروف التى أفلتت منه

عادت إليه

تناوره

والضفاف التى انتظرته

طويلا .. طويلا ..

إذا ما رأته ..

تبادره

بالسؤالْ

السؤال الذى حار

بين حوار المرايا ..

وبين جنون الحروف ..

وبين انتظار الضفاف ..

السؤال الذى لا يزالْ

منذ أن كان ..

يرهقه ..

ويؤرِّقه

ويمزقه

ثم يحرقه

في جحيم الجدالْ

لا يجيب .. !!

وليست تجيب المرايا !!

يطول الحوار الذى دار بينهما ..

هل تراها تكاشفه بالذى تعكس ؟!

هل تبوح له بالذى يوجس ؟!

إنه لا يرى غير ما قد رأى

وعلامات حيرته

حفرتها ظلال الملال

..★..★..★..

عبرتيه الحروف

يهيم

وعبر مهامهها

وخلال سراديبها

ودهاليزها

سائرا .. حائرا

راحلا .. سائلا

كلما انكشفت

وتبدّت له

تتبدل .. أو تتبدد .. أو تتوارى

يراوغه وقعها

ودلالاتها

ويظل الوصول

إلى نقطة الكشف

حلماً .. بعيد المنالْ

★★★

في جوانحه الشوق .. والتوق

ناداه خلف البحار ..

مدى شاغفٌ

واحتفت بمراكبه

الريح .. والموج

لكنه ليس يأمن

ثورة عاصفة قد تُجنُّ

فتلقى بآماله للزوالْ

والشطوط تراوده من بعيد

إذا ما سفائنه أبحرت

وهو ما بين شط يراوده

ومدى يستبيه

غريق بأعماق لحظته المذهله

..★..★..★..

حين يدعوه للنهر

سحر عذوبته

هل يساير تياره ؟

أم يعاكسه ؟

والضفاف تناديه

وهو يقاوم تيار نهر المحالْ

الضفاف تناديه

تشتاقه

وهو يشتاقها

كى يسائلها

قبل أن تسأله

..★..★..★..

تَعِبٌ من حوار المرايا

ومن روغان الحروف

ومن رحلة ليس يبقى له

ـ بعدها ـ

غير حيرته المسترابه

ويظل السؤال بغير إجابه

فــى المــا بــين

فى منزلة

.. بين المنزلتين ..

نزلتُ ..

وأنزلتُ تراتيل العشق

حواليك

كما تتنزل ـ صافية ـ

قطراتُ الأنداءْ

فى منزلة .. بين المنزلتين

نزلتُ ..

أزلت حواجز

- تمنعنى عنك ، .. وتفصلنا -

لما زلزلت الكلماتِ الراكدة

الخرساءْ

ولمرحلة .. بين المرحلتين

رحلتُ ..

وأحللتُ الثورةَ

حيث حللتُ

وكحَّلتُ عيونك

بالنظرات الرافضة الشماءْ

وأحلتُ الصمت

ضجيجاً حلواً

مواراً

تتمرد فيه الأصداءْ

وبدرب .. بين الدربين مشيت

أمامي عيناك

وخلفي يدفعني نحوك

إيقاع صداك

وعند يمينى

درب يبعدنى عن دنياك

وعند شمالى

درب لا يوصلنى أبداً ..

لمداك

بين المنزلتين ..

نزلت ..

بمنزلة

بين الإقدامْ ..

والإحجامْ

بين الاعلانْ

والكتمانْ

بين الخوف من اللاشيءْ

وتحدى كل الأشياءْ

ورحلت .. لمرحلة

بين المجهول وبين المعلومْ

بين الآفاق وبين الأعماق

بين النار ..

وبين الماءْ

في الما بين ..

نزلتُ..

رحلتُ ..

مشيتُ ..

وأدركتُ

أني في الما بين

توازنتُ

كما شئتُ

الاسكـــندرية

ثبج يطفو على سطح المسافات

وموج ضارب فى الريح

يلقى الصدف المسكون

باللؤلؤ .. والشوق

إلى الشط

وبحر غارق فى الزمن العاشق

للحسناء

معشوقة كل الفاتحين

منذ أن مر هنا الإسكندر الأكبر

والحلوة كانت

عند شط البحر تستلقى

وضوء الشمس يرويها

وماء البحر يأتيها

يبوس القدم المبتلَّ فيه

.. والهاً ..

والفاتح المنصور صبٌ

منتشٍ بالعشق

والسحر الذى يصبو له المجد

ويحنى الكبر هامات لها الأنجم تيجاناً

هنا ..

قد ولدت ..

درة ليس لها مثل ..

ملوك الأرض فى حضرتها الأسمى

- بحبّ - يخضعونْ

ولها المُلْك

فأرباب يصلُّون لعينَيها ..

وعشاق يهيمون بسيماها ..

وفنانون يَشْدون ..

وبالكل فتونْ

آه .. ياساحرة الدنيا

كليوباترا استمدت سحرها منك

فهل كان بها العشاق مفتونين ؟

أم كانوا يهيمون بما فيك من المجد ؟!

وهل كان كفافيس الحزينْ

- حينما كان يغنى - عبقرياً ؟

أم حواريك التى أعطت

مذاق السحر للشعر الذى أبدعَ

من وحيكِ؟!

يا واهبة المجد ..

وياناثرة السحر ..

ويا ملهمة الشعر ..

ويا مشعلة الحب

إلى حد الجنونْ

من مدى

ليس له ـ قط ـ مدى

يأتى إلى عمرىَ عشق

مستمد منك أسراراً

وفيضاً من عطاءٍ

فيه .. ما فيك ..

دنى باهرةٌ ..

مدُّ خيال جامح الفكر ..

وبحرٌ نزقٌ

لا يستكينْ

من مدى ، ليس له ـ قط ـ مدى

تطلع لى عاشقتى

ـ معطاءة ـ

تمنحنى .. ما تمنحينْ

ولنا فيك منى

هل ياترى نبلغها ؟!

هل ياترى

سوف تضمين

ـ كما اعتدت ـ

بأحضانك

عشاقاً إليها يلجأونْ

لى حكايات . .

ولى عشق

ولى فيك . . ومنك النبضُ . .

والإيقاع . . والصوت . .

وتاريخ . . ودينْ

لا تزالين ـ برغم الزمن القاهر ـ أنتِ

مثلما أنت . .

ـ أيا سيدة الدنيا ـ بهيه

لك أحباب

يجيئون حجيجاً

كلما هاج بهم شوق

وأضناهم حنينْ

كلهم يهوى (الَمريَّه)

والتراب الزعفرانْ

كلهم ذاب هياماً

فى هوى الإسكندرية

مصــــرية

ســمرة الــنيل لــونت خــديكِ

وشموخ الأهرام فى عينيكِ

وابتسامات الشمس فوق محياك

.. وعمق التاريخ فى ناظريك

يا ابـنة الـنيل ، أى ســـر مثـــير

خبـأته الأقــدار فى جنبيك

أى سر مقدس ، يجذب الــروح

لسـاح الصلاة فى معبديك

فإلـى معــبد الجـمال هـــيامى

وإلـى معبد الحقيقة نسكى

أنت مصـرية . . وحسبك فـــخر .

وخلود تضفيه مصر عليك

يخشع السحر فى جـلال لديـك

ويصلى الجمال بين يديك

أنـا فى غـــــربتى أتـوق إلـيك

وبكل العيون أبحث عنك

عن جلال الدلال فى مشية من

وقعها يعبد الثرى قدميك

عن تراتيل الحب قدسية اللحن

تضىء الوجود من شفتيك

عن ضياء النقاء يومض حلواً

من رفيف الحياء فى هدبيك

وعن الشمس فى جبينك تزهو

وعن الدفء فى دنى راحتيك

خفة الروح فى حديثك سحر

يجذب الروح والفؤاد إليك

ونسـيم الوادى يـرف بأنفاسـك

أزكى من الشذى .. والمسك

فخذينـى مــن غربـتى وضـياعى

واجذبى مركبى إلى شاطئيك

أسكنيـنى فى مقلـتيك لأنســى

قسوة البعد عن سنى مقلتيك

أنا أهــواك ومضــةً مــن بـــلادى

وأرى موطــنى الحبـــيب لديك

فأنـا مـن أيــك الكـنانة طـــير

عاشـــق يهفــو دائمــاً للأيك

كـل شـيء مـن بـلادى حبيـــب

وهـوى موطنى صلاتى ونسكى

فوق برديـــة نقشــت حكــايات

هوانا .. والدهر قد راح يحكى

فهـوانـا تاريخ مجـد عريـــق

وسنـــاه يشـع منـى ومنـــك

أنت مصرية .. وحسبك فخـر

وخلـود تضفيـه مصر عليك

الوجـه المصـلى

قامت تصلى .. والرؤى متكاثفه

وعيونها .. خلف المنايا طائفه

قامت ترتـل فـى خشـوع آيـها

وتراقب الأفق المضرج .. عاكفه

بيمينها كتب الصلاة .. وحولها

كل الشموع ، من الترقب ، كاسفه

يا أيها الوجه المصلى للحقيـــقة

.. والربيع .. وللأمانى الوارفه

ما كان غير ضيائك السامى يشع

.. فتنجلى ظلم الليالى السادفه

ويبث دفـئاً يبعث الأمـل الـذى

كم جمدته ثلوج يأس جارفه

يا أيها الوجه المسافر عبر أزمنـــة

.. الأسى والأمنيات الواجفه

يا أيها الوجـــه المهـــاجر باحـثاً

فى ظلمة القدر المثير عواصفه

يا أيها الوجه المصــلى ضـــارعاً

وعيونك اللهفى .. سحائب واكفه

إخلع حدادك .. ها هو المحبـوب

.. عاد يضم فى جنبيه أسمى عاطفه

ويلوح عند الأفق شمساً تزدهى

فى عزة .. بعد انكسار العاصفه

..★..★..★..

قامت تصلى .. والطيور الخائفه

عــادت لألحــان الصبابة عازفه

عادت مرفرفة هنا ، وهى التى

كم هاجرت خلف الغيوب مجازفه

عبر احتدام الوهم .. والهول الذى

من حولها .. بث المنايا قاصفه

بحثاً عن المحبوب فى جوف الردى

وبصدرها الأشواق ماجت راجفه

والرعب كان يدب فى أحشائـها

والروح .. كانت فى المخاوف راسفه

يا عودة الطير المهاجر .. بعدما

عصفت به أوهام يأس زائفه

هذى المواكب مقبلات فى المدى

من فوقها شمس الحقيقة زاحفه

تجتاح عصف اليأس .. تقهر زيفه

وتبشـــر الوجه المصلى هاتفه

بنشيد حب ضاء فى سمع الزمان

ممزقاً صمـــت الليالى السالفه

يا عودة الطير المهاجر بعـــدما

ظمئت عيون للحقيقة شاعفه

قد آن للوجــه المصــلى أن يــرى

فجر الحقيقة كى يمج مخاوفه

★★★

قامت تصلى ، والعيون الذارفه

لمعت لتشهد فى الصباح مواقفه

وتراقـــب المحبـوب إما لاح فـى

الآفاق يكتب بالدماء صحائفه

وتقـبل الوجــه النبــيل إذا بدا

عند المدى نوراً يذيب السادفه

كى تألق الأفـراح فى أحـداقها

أبداً ، وتلتـئم الجراح النازفه

يا أيها الوجه المصـلى للحقيــقة

.. والربيع .. وللأمانى الوارفه

قد لاح فى الأفق الربيع ، وأشرقت

شمس الحقيقة للحقيقة كاشفه

عــودة النــورس

وتـصــــمت الأيـام ، لا تـنـبـس
آمــلـــة أن يـــرجــع الــنــورس

فـــالحـــزن فى الميناء لما يزل
والموت فى أنحـــائه يـعـــبس

والنورس المحـــبـــوب فى رحلة
عـــبـــر بحـــار الهـــول لا يوجس

لا يرهب الأنواء إمـــــا طَغَتْ
ورغم عــصف اليــأس لا ييــأس

مــهــاجــراً ، يبــحث عن مــرفــأ
ترتاح فى مـــرســـاته الأنفس

يرحل والميناء فى شـــوقـــه
يــراقــب الأفــق ، ولا يــنــعــس

حـــتى أتت بعـــد الأسى ، لحظة
من الـزمــــان كـلـه ، أنـفـس

تلوح فــيــهــا السـفن مـخـتـالة
وفـــوقـــهـــا يحلق النورس

..★..★..★..

يعـــود للمـــدينة المظلمـــه
جـــراحـــه فى صـــدره أوســـمـــه

ليـــزرع الضـــيـــاء فى قلبـــهـــا
يُطلع فى ســـمـــائهـــا أنجـــمـــه

ليـــرسم البـــســـمـــة فى ثغـــرها
ويقـــتل الأحـــزان والمشـــأمـــه

يـاأيهـــا القـــادم فى هالـة
تشـــتـــاقـــهـــا الشـــوارع المعـــتـــمـــه

عـدت ، ومن حـولك يعـوى الردى
والنار ، والدمـــار ، والملحـــمـــه

عدت ، جـمـيل الوجـه ، ثبت الخطى
تسـيـر نحـو الوهم كى تحطمـه

يـا أيـهــا الـعــائد فى هالـة
يا عـابر الأسطورة المبـهـمـه

النور فى وجـهـك أجـمل بـه
والحب فى جنبـيك مـا أعظمـه

النوارس تقبل كل شتاء

كانت الشمس تلثم وجهك كل صباح

وتلمع فى شعرك الأنجم الزهر كل مساء

ويقولون ..

إنك لم تعرفى قبل هذا الزمان الردىء

الإباء !

والنوارس تقبل كل شتاءٍ

تجيئك لا طلباً للأمان

ولا هرباً من ثلوج الشمال

تجيئك للوعد .. والحلم ..

والكبرياءْ

النوارس تقبل كل شتاءْ

والتراتيل تسمو .. وتسقط

والصبح يأتي .. ويذهب

والبحر كاد يجف

وحمليَ ليس يخف

وأنت كما أنت ، لا يتغير فيك سكونك

لا يتغير فيك خضوعك ،

لا يتغير فيك الغد المرعبُ

يدخل الموج فى الموج

والنورس القادم المتعبُ

جاء تدفعه نحو بابك أشواقه

مثقلاً بالهوى .. والتعب

يغرق البحر فى البحر

والشجر الظامىء المستباح تساقطُ أوراقه

فى زمان الجفاف .. وفصل السغبْ

يدخل الموج فى الموج

يغرق البحر فى البحر

مازلت أنت كما أنت

ثورة عشقى

ودرب اغترابى

وأنت عذابى

وأنت التى قد رفضتُ لأجلك أن أُشْترى .. وأباع

أنا أعلم أن هواك .. ضياع

والذى يخلص الحب ، فى زمن الكره ، متهم بالغباء

النوارس تقبل كل شتاء

والمدى مضطرب

والجناحان لحنا غضب

والطريقان ..

إما طريق التحدى

وإما طريق الهرب

والنهاية .. موت

فمت واقفاً

ذاك أكرم من أن تموت ووجهك منكفىء

وبريق عيونك منطفىء

وبظهرك ذل انحناء

النوارس تقبل كل شتاء

يدخل الموج فى الموج ..

يغرق البحر فى البحر ..

أستحم بعطرك

يغتسل الضوء بين يديك

أحبك حتى العذاب

أنت .. أنت السفينة ، والبحر ، والمرفأ

يتهدل شعرك

أغرق فى ليله

من جدائله ، رحلتى تبدأ

وإلى ضفتى سحره ألجأ

أنت .. أنت السفينة ، والبحر ، والمرفأ

هل يباع بصدرك صوت الحقيقة ، والحب ، .. والمبدأ ؟

أمنياتى سراب

ودربى يباب

أحبك حتى العذاب

يدخل الموج فى الموج

والرحلة ابتدأت .. فمتى الانتهاء ؟

يغرق البحر فى البحر

والخطوة احترقت فى دروب العفاء ؟

والنوارس تقبل كل شتاء

تجيىء لوعد

بأن تمسحى عن عيونك ظل الرقاد

وأن ترفعى اليوم سيف العناد

تجىء لما فى ضميرك من كبرياء

يدخل الموج فى الموج

يغرق البحر فى البحر

والنوارس تقبل كل شتاء

دم على حائط الانتظار

لدم على سفح الخواء

يراق في صمت . .

بلا ثمن . .

ويذهب في مدارات الهراء

لدم تساوى . . والهباء

تمتد أطراف القصيدة

من بدايات انتظارك

لاحتضارك ..

فاستفز الصبر ..

واستوفز مشاعرك الدفينة

والسكوت المر ..

لا تبرح مكانك

أو تفاوض

من يقايض باحتمالات انفعالك أمنه

فيروح حلمك

وانتظار الحلم .. أدراج الهواءْ

لدم تشربه الحجرْ

فمضى ولم يورق سوى حجر

بكف صبية ألقته فى وجه الضجرْ

تنداح أسئلة

ودخان الترقب يخنق الأنفاس

أو يعشى البصرْ

لا تنتظرْ

غدك استبيح

وأمسك انداحت عليه سحائب النسيان

واليوم اندثر

والمشهد المعتاد

من أيام أندلس يعاد

وأنت يلفحك الرماد

ولست تدرى ما تريد

وما يراد

بأمة سكن الرقاد بها

وحاصرها العفاءْ

مازلت محترقاً بتاريخ الضياع

وقصة الفردوس

والمجد المباع

تآكلت أعضاؤك

انتثرت شظايا

لا يلملمها نداءْ

لا تنتظر

واسرق لهيب الشمس

وانفذ من خلال جدار صمتك

وانفجر

لا تنتظر

الخطوة الأولى هنا ..

فولاتك احترفوا

ضياع المجد فى الأوطان

واحترقوا بنار توجس البركان

نار الخوف من غضب تخبأ فيك

وابتردوا بصمتك وانتظارك

أن تجيىء الأمنيات من السماءْ

وجه بلون الموت ..

يأتى من ربى غرناطة

والخيل كابية .. على أبوابها

والسيف منكسر بكف الفارس

المغدور

في عصر الطوائف ..

والتشرذم ..

والنثارْ

وجه بلون الحزن ..

يبكي مثلما تبكي النساء

على ممالكه التي ما صانها مثل الرجال

فضاع فردوس ..

وتاريخ ..

ومجد .. وازدهارْ

وجه بلون الجدب ..

بين مدائنٍ

سقطت سنابلها الخصيبة

تحت أقدام التتارْ

وجه بلون الجرح ..

يطرق فى ربى القدس الأسير

وأنت ترقب فى انكسار

من ذا يغير من زمان القهر

هاتيك الملامح .. والوجوه ؟!

ويكتب التاريخ بالغضب المضىء

ويخطف النجم المسافر فى المدار ؟!

مازلت وحدك .. واقفاً

والذات يدميها انشطار

مازلت وحدك .. واقفاً

والأرض ضاقت

واستبد بها الحصار

مازلت منتظراً لشيء لا يجيء

أما مللت الانتظار ؟!

الأرض مادت ..

والخطى ساخت ..

وفى زمن التراجع تنشطر

لا تنتظر

ما أنت إلا أنت

ليس سواك يقدر أن يعيد إليك

ذاتك

إن أردت

وإن أبيت فكن كما كان القطيع..

وسر كما سار القطيعْ

واهتف بطول العمر للذئب الوضيعْ

ما أنت إلا أنت

غيرك لن يعيد إليك ذاتك

فلتكن مثل الألى حرصوا على الموت الكريم

فأقبلت لهم الحياة

بعزها

تمنحهم المجد الرفيعْ

غضب تلبد فى النفوس ..

ولا مطر !!

ومفاوضات اللعنة السوداء

طالت ..

واستطالت

من بداية جرحك الدامى

إلى وهم السلام المستحيل

وأنت منتظر

يساومك السراب على وجودك

والخدرْ

لا تنتظرْ

دمك الذى قد سال فوق حوائط

النسيان

لم يكتب سوى حرف البداية

في حكايات انتظارك

فانتفض

وانزع عن العين ما يعشى

ومن أعماق نفسك

هسهسات الانفصام

وعد لذاتك

عد لذاتك

وانفجر

لا تنتظر

الحمام والسجيل

للدم دمدماته فى الرخامْ
وللظلال ومضها فى الظلامْ

وللخيام رجفة ، كلما
مرَّ على الخيام سرب الحمام

هل ينحنى النخل على زهرة
تقذف بالأحجار وجه الطغام ؟

وهل يريق البحر أمواجه

بشاطىء رماله فى اضطرام ؟

يا زمناً يسود فيه اللئامْ

مهما يكن فلن يُذَلَّ الكرام

مازال فى الأعصاب لفح اللظى

وفى القلوب ليس يخبو الضرام

فليكتم الأطفال أوجاعهم

وليشمخوا بنظرة الانتقام

فمن دمائهم يهل السنى

ومن عظامهم يُسَنُّ الحسام

لا تنتهى مسافة ، قد بَدَتْ
ـ فى مبتداها ـ عاصفاتُ الحمام

تاريخها حقد ، وأيامها
غدر ، وأفقها ارتعاد الغمام

مسافة فيها عدوٌّ بَغَى
والنار والدماء فصل الختام

ليست يداً تلك التى مدَّها
ما هى إلا النصل فيه السمام

قد ولَغَتْ فى لحم أطفالنا
وفى خلايانا تدق العظام

وليس وجهاً باسماً ذا الذى

يبش إذ يخدع بالابتسام

فلتختلج يا دمنا فى الرخامْ

ولينتفض بالثأر قلبُ الخيامْ

وليقذف الأطفال أحجارهم

وليأت بالسجِّيل سرب الحمام

ولتعرفوا قاتل تاريخكم

ولتخرجوا من حالة الانفصام

ليس صديقاً سارق القدس من

أصحابها ، أو مستحل الحرام

فلتقرأوا ما كتبت كفه

على ربوع القدس : أن لا سلامْ

الفهرســــت

ص

شكر واجب

للأخ الصديق الفنان

الأستاذ / **أحمد أبو النور**

الذى نشر هذا العمل وأعمالاً سبقته

فساهم بكل الحب والإخلاص فى

ابراز غناء النورس

فله كل الشكر والمحبة

سـامح

هكذا غنى النورس

شعر : سامح درويش

المستقبل للطباعة والنشر ـ بورسعيد

الطبعة الأولى : ٢٠٠٢

رقم الإيداع : ١٧٠٣٨ / ٢٠٠١